عباس بيضون يخون الكسالى

حسان الزين

مذهلة هي قدرة عباس بيضون على التعافي من «الغيبوبة» التي أدخلته بها سيارة مسرعة، في أحد شوارع بيروت.
كأنه، فجأة، نسي أنّه جريح ونهض من سريره مستأنفاً حياته. حذف مقطعاً من حياته، شهرين على الأقل، وعاد بحماسة إلى مكتبه وأصدقائه وأوراقه. مفاجئ هذا. من أين له حب الحياة؟ من أين له القدرة على استئنافها؟ من أين له الرغبة في العيش في هذا البلد؟ أسأل ذلك وأعرف أن الحياة أسهل شيء في هذه الحياة. كما لو أن عباس بيضون قرّر عدم إزعاج أصدقائه المتحلّقين حوله مريضاً. قرّر أن يطلب من سائق السيارة نسيان تلك الليلة وارتداداتها. كما لو أنه يريد احتكار المأساة لنفسه وحده. ما حصل في تلك الليلة وما تلاها، فوق السرير في غرفتي العمليات والعناية المركّزة... وفي أروقة الانتظار، فكرة يطاردها عباس وحده. ما حصل تلك الليلة مسودة، وإذ يعود عباس إلى حياته يحاول إيجادها حيث أضاعها، يحاول إعادة صوغها من حيث أفلتت وطارت.
لعل المذهل في هذا، ليس قدرة عباس بيضون على الحياة، فقد بدت ملامح ذلك واضحة أثناء مقاومته الجراح. الجميع استغرب قوّة بنيته وكأنه كان يُخفي هذا السرَّ، وهو الذي جعل الآخرين يغفلون عنه مأخوذين بعباس بيضون الشاعر والكاتب من طينة الموهبة الخالصة والنادرة. وليس المذهل أن يفاجئ عباس بيضون، مفاجآته الكتابيّة باتت عادة، وكثيرة هي القصص المفاجئة عنه. المذهل هو رغبته في الحياة. الأكيد أنه لا يسعى إلى إعطاء درس في هذا. هذا آخر همومه. لكن حماسته للحياة، مفاجئة. أحسب أنها رغبة في تخفيف وطأة الحياة أكثر مما هي رغبة في الحياة. الخروج من المرض والسرير ترويض للحياة، هو مواصلة أمر ما بدأ سابقاً، منذ زمن، لعله الحياة نفسها، أو الصداقة أو العمل أو الكتابة. الكتابة التي خطا بها خطواته الأولى خارج السرير، حتى قبل أن يخرج بجسده منه. الكتابة التي طمأن بها أصدقاءه قبل أن يسمعوا الأطباء، وقبل أن يروه يخرج من السرير ويمشي في الغرفة كطفل.
عباس بيضون لا يعطي درساً بحب الحياة.
هذا أكيد، لكنه يستفز الأسئلة: أهو درس في علوم الحياة، في الحياة نفسها، في القدرة على الحياة، في غرابة الحياة، في الضحك من الحياة، في لزوم الحياة، في الصداقة، في الكتابة؟
لا يعطي درساً في الحياة وحبّها، لكنه يستفز أسئلة العيش في هذه المدينة التي تشبه سيارة مستعجلة تزاحم العابر على الرصيف، أو في تلك «المدينة» التي لا تشبه قصيدتها. ولا مكان نذهب إليه، حتى القصيدة باتت مثلنا مضجرة، حتى السخرية باتت تبحث عن وظيفة، في الهوامش التي يهملها السياسيون والمرتزقة. لم نترك لأنفسنا حلماً، فيما نطرق أبواب الكوابيس. لم نترك لأنفسنا شهيداً فيما نبحث عن أسلحة وشوارع وجدران تتسع للصور. لم نترك ماضياً كي لا نبدو «تافهين» نتعلّم. ولم نبنِ مدينة لندمرها، ولم ندمّر أنفسنا لنبني مدينة. عملنا ذلك كله ولم نفهم معنى الدمار.
يحرجني أن يكون عباس الجريح المريض أنشط منّا، أن يكون قادراً على مخالطة الأصدقاء. هذه هي المفاجأة التي تقارب خيانته الكسالى.
مرّة أخرى نشتم عباس بيضون لفعله شيئاً لا نقدر عليه. ولا يعزينا القول إن الحياة تحتاج إلى عبقرية أو قدرة بدنية تجعل أجسادنا هنوداً حمراً، فيما نحن نهرول في شبهة المدن لنغدو مدنيّين. نعيش في العلب مع أوهام صغيرة تداعب الضجر تارة وتفاقمه تارات، ونحسب أننا نقتل أمراً ما، الوقت على سبيل المثال.

الأخبار
تأسست عام 1953
تصدر عن شركة «أخبار بيروت»

رئيس التحرير المؤسس
جوزف سماحة
(2007-2006)

مستشار مجلس التحرير
انسي الحاج

■ مدير التحرير خالد صاغية ■ سكرتير التحرير حسان الزين ■ مجلس التحرير عربيات دوليات إيلي شلهوب، ثقافة بيار ابي صعب، مجتمع ضحى شمس، رياضة علي صفا، عدل عمر نشابة، اقتصاد محمد زبيب ■ المدير الفني اميل منعم

■ رئيس مجلس الادارة والمدير المسؤول ابراهيم الأمين
■ المكاتب بيروت ـ فردان ـ شارع دونان ـ سنتر كونكورد ـ الطابق السادس ■ تلفاكس: 01759500 01759597 ■ ص.ب 113/5963 ■
www.al-akhbar.com
■ الاعلانات Tree Ad 03 / 252224 ـ 01 / 611115
■ التوزيع شركة الأوائل 15ـ 03 / 828381 ـ 01 / 666314

كما كان متوقعاً، استقال مستشار الأمن القومي الجنرال جيم جونز الأسبوع الماضي من مهماته. الاستقالة أتت مبكرة بضعة أسابيع، ويقال في أروقة السياسة في واشنطن إنّ ما نقله كتاب بوب ودوورد الجديد «حروب أوباما»

تغيير مستشار الأمن

وداعًا سيد جونز

ديفيد روثكوف*

سيذكر التاريخ الجنرال جيم جونز بأنه مستشار الأمن القومي الأقل نجاحاً منذ أيام الجنرال جون بوينتدكستر الذي أجبر على الاستقالة خلال إدارة الرئيس الأسبق رونالد ريغان. هذه الحقيقة وحدها تضيء على واحدة من أخطاء عدّة في الحسابات ارتُكبت حين عُيّن جونز. هو كان رجلاً عسكرياً، فاتّكل على الحكمة التقليدية التي تقول بأنّ رجال الجيش يبرعون في وظائف مماثلة. فيجب ألا ننسى أنّ أفضل مستشار أمن قومي في التاريخ كان الجنرال برينت سكاوكروفت [مستشار الأمن القومي مع الرئيسين جيرالد فورد وجورج بوش الأب]. ومن الواضح أنّ سكاوكروفت كان المثال المترسخ في عقل الرئيس أوباما حين اختار جونز.
المشكلة كانت، كما رأينا مع بوينتدكستر، أنّ الخبرة العسكرية ليست ضمانة للنجاح في الوظيفة. سلف بوينتدكستر، روبرت مكفارلاين [مستشار الأمن القومي للرئيس رونالد ريغان] كان يتمتع بخبرة عسكرية كبيرة، لكنه كان كارثة أخرى.
لكنّ جونز لم يكن سكاوكروفت بأي طريقة ممكنة. أتى سكاوكروفت إلى هذا المنصب بعد علاقة وطيدة وشخصية مع رئيس الجمهورية. بعد تجاوز التحفّظ بينهما، لم يستطع أوباما وجونز الوصول إلى هذه المرحلة في علاقتهما. تسلم سكاوكروفت منصبه ولديه نظرة واضحة المعالم للعالم، طوّرها على مدى سنوات من الدراسات المعمقة والرصينة للشؤون الدولية. قال أحد الدبلوماسيين الذين عملوا مع جونز حين كان قائداً للقوات الحليفة في أوروبا إنه «لم يكن لديه أدنى اهتمام بالسياسة الخارجية». كان مهتماً فقط بالشؤون العسكرية، وحتى في هذا المجال لم يكن مبدعاً أو يتمتع بفضول فكري. سكاوكروفت كان متمكناً من وظيفته مستشاراً

> قلة خبرة الرئيس أوباما أثرت على جونز أكثر من أي عجز لدى الجنرال

للأمن القومي، فهو طوعاً وبإخلاص كان يتحدث عن ريغان كرئيسه في العمل وكان منسّقاً فعّالاً للسياسات، احترمه ووثق به الجميع كوسيط نزيه. أما جونز، فبدأ يتكلم بالسوء عن أوباما في الحفلات التي دعي إليها منذ أشهر، ولم يعدّ نفسه موظفاً عند أحد. كذلك فإنه لم يستطع أن يكون قائداً بكل ما للكلمة من معنى، فترأس اجتماعات دون أن يستطيع قيادة سير العمليات.
وبالطبع، حتى مع اعتباره المثال الذي يجب على كلّ مستشاري الأمن القومي التطلّع إليه، أحياناً يُقلّل من قدر سكاوكروفت. كان معسول اللسان ولطيفاً جداً لدرجة كان يبدو أنّ عمله شديد السهولة. رغم أنّ جزءاً من نجاحه يعود إلى هذه الصفات وكون فريقه كان متجانساً، لكنّ برينت سكاوكروفت رجل استثنائي. لم يعمل أي شخص حصل على هذه الوظيفة أكثر منه. لم يكن أحد أذكى منه. لم يكن أي شخص يمتلك رؤية للعالم أفضل وأكثر دقة منه، ومن ضمن هؤلاء حتى رئيس سكاوكروفت حين كان نائباً لمستشار الأمن القومي، أي هنري كيسينجر، ثاني أفضل شخص شغل هذا المنصب على الإطلاق.
اختير جونز لأنّه بدا، بشكل سطحي، من طينة سكاوكروفت نفسها، أو يحاكيه في ذلك. وبدا أنّ ذلك كان الشيء المنطقي ليفعله الرئيس. لكنّه اختار الرجل الخطأ. من أكثر الأسباب الخفية لنجاح سكاوكروفت هو أنّ رئيسه كان جورج بوش الأب. رئيس ذو باع طويل في السياسة الخارجية حين تسلّم منصبه، وكان يعرف ماذا يريد بالضبط من أي عملية سياسية. وباراك أوباما ليس جورج بوش الأب.

قلة خبرة الرئيس أثّرت على جونز أكثر من كلّ عجز لدى الجنرال. لم يكن يعرف ماذا يريد. تردد في أمور مهمة. برهن عن مشاكل أميركا المتكررة التي تحصل حين توظّف رجالاً لا يمتلكون خلفية في السياسات الدولية ليشغلوا أهم وظيفة دولية في العالم. إضافة إلى ذلك، لم يكن يعرف حقيقة عمل الرئاسة ليقضي في المهد على خلق أي مجموعات داخلية كتلك التي شوّشت على عمل السياسة الرسمية. شجع أوباما (أو سمح لوقت طويل ما بدا كأنه تشجيع) مساعديه في الشؤون الخارجية في حملته الانتخابية على الاستمرار بتسليم التقارير مباشرة إليه. وأدى ذلك إلى بعض التجاهل الرسمي والسرّي لجونز، ما قوّض من سلطته بنحو كبير. لم يساعد أوباما في تقوية جونز، وزادت الطين بلّةً أوجه القصور الخاصة بالجنرال، إضافة إلى عدم وجود انسجام بينهما، فضلاً عن التعاون غير الفعّال الذي انتقده مسؤولو البيت الأبيض والسياسة الخارجية الكبار منذ الأشهر الأولى لوصول أوباما إلى الرئاسة.
في الحقيقة، ازداد الوضع سوءاً لدرجة أنّ جونز تعرّض للنقد أكثر من مرة من قبل دنيس مكدونو، كاتم أسرار أوباما. ومن المدهش كيف استمر في عمله كل هذه المدة. وقال لي مستشار أمن قومي سابق حين كنا نتناقش في أحد المواقف المعروفة لمكدونو التي انتقد فيها جونز إنّ «ذلك كان سيحصل مرة واحدة معي. كنت سأخيّرهم بيني وبينه». طرح ذلك السؤال الآتي: كيف سيعمل مجلس الأمن القومي تحت إمرة توم دونيلون، خليفة جونز؟ لا شك في أنّ دونيلون يبدأ بعلاقة أفضل بكثير مع أوباما (ومكدونو) ممّا حظي بها جونز. ولا شك في أنه مستعد لأن يعدّ نفسه موظفاً عند الرئيس، كذلك فهو موهوب في العمليات السياسية. السؤال هو هل سيترك دمغته الخاصة أو سيكون توظيفه فقط لتنفيذ السياسات في وقتها، وتخفيف الجدل القائم